ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/95
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها جامعة الفارابي

"البناء العقائدي في تفسير الميزان عند الطباطبائي دراسة تحليلية في ضوء الفكر الإمامي"

زينب جبر سعيد خلف
جامعة ميسان / كلية الإدارة والاقتصاد

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث دراسة تفسير *الميزان* للسيد محمد حسين الطباطبائي من زاوية فقهية–عقائدية، إذ يهدف إلى الكشف عن الأسس العقدية التي يقوم عليها منهجه التفسيري، ومدى التزامه بمباني الفكر الإمامي الاثني عشري. ويركز البحث على بيان معالجة الطباطبائي للقضايا العقائدية الكبرى كالتوحيد، والعدل، والنبوة، والإمامة، والمعاد، من خلال استنباط المعاني القرآنية وفق منهج يجمع بين الدليل النقلي والعقلي. كما يوضح البحث منهج الطباطبائي في تفسير الآيات ذات الصلة بالإمامة والولاية، مثل آية أولي الأمر وآية الولاية والمباهلة، حيث اعتمد منهجًا اجتهاديًا عقلانيًا يستند إلى القواعد الأصولية والقرآنية دون الخروج عن ضوابط الفهم الإمامي للنص. ويظهر من خلال ذلك حرصه على تجنب التعصب المذهبي، مع الالتزام بالأدلة البرهانية والنصوص القطعية وتخلص الدراسة إلى أن تفسير *الميزان* يمثل نموذجًا فقهيًا–عقليًا في تناول القضايا العقدية، إذ جمع الطباطبائي بين أدوات الفقيه وأسلوب المتكلم، فكان تفسيره مشروعًا علميًا يسعى إلى توحيد منهج الاستدلال بين الفقه والكلام والفلسفة، مما أضفى على التفسير طابعًا اجتهاديًا أصيلًا يقوم على التوازن بين النص والعقل. **الكلمات المفتاحية: الميزان – الطباطبائي – الفكر الإمامي – العقيدة – الفقه – التفسير العقلي – الإمامة.**

Abstract:

This research examines *Al-Mīzān* by Sayyid Muhammad Husayn al-Ṭabāṭabāʾī from a juristic-theological perspective. It aims to reveal the doctrinal foundations of his exegetical approach and to determine the extent of his adherence to the principles of Twelver Imami thought. The study focuses on al-Ṭabāṭabāʾī's treatment of the main pillars of faith — Divine Unity (Tawḥīd), Divine Justice (ʻAdl), Prophethood (Nubuwwah), Imamate (Imāmah), and Resurrection (Maʻād) — through an interpretive method that combines rational reasoning with textual evidence.It also analyzes his approach to Qur'anic verses related to Imamate and Wilāyah, such as the verses of *Ulī al-Amr*, *Wilāyah*, and *Mubāhalah*, showing his reliance on rational, ijtihād-based interpretation grounded in Qur'anic principles and sound traditions, while avoiding sectarian or emotional readings. His methodology reflects a balance between intellect and revelation within the framework of Imami theology.The study concludes that *Al-Mīzān* represents a juristic-rational model in theological exegesis, where al-Ṭabāṭabāʾī successfully unites the methods of jurisprudence, theology, and philosophy. His commentary stands as a renewal project that harmonizes the reasoning of the jurist and the theologian, establishing a comprehensive interpretive approach rooted in both intellect and faith.

Keywords: *Al-Mīzān* – al-Ṭabāṭabāʾī – Imami thought – doctrine – jurisprudence – rational exegesis – Imamate.

المقدمة

يُعدّ التفسير العقائدي أحد أبرز المداخل لفهم الخطاب القرآني، إذ يُعنى بكشف المعاني المرتبطة بأصول الدين، ومقاصده الإيمانية الكبرى، كالتوحيد، والنبوة، والمعاد، والإمامة، والعدل. ويبرز في هذا السياق تفسير **الميزان في تفسير القرآن** للعلامة **السيد محمد حسين الطباطبائي (قدس سره)**، بوصفه من أهم التفاسير الشيعية في العصر الحديث، لما امتاز به من عمق فلسفي، ودقة لغوية، ورؤية منهجية تجمع بين النص القرآني والتحليل العقلي، في ضوء مباني **الفكر الإمامي الاثني عشري**.وفي هذا السياق، يُعدّ تفسير **الميزان في تفسير القرآن** للعلّامة **السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠١هـ)** من أعظم المحاولات التفسيرية في العصر الحديث، وأكثرها نضجًا وعمقًا في بناء منظومة عقائدية قرآنية متكاملة، مستندة إلى **الفكر الإمامي الاثني عشري**، ومسنودة بمنهج عقلي وفلسفي متين.لقد نشأ الطباطبائي في بيئة علمية شيعية غنية بتراث أهل البيت عليهم السلام، وكان من أبرز تلامذة المدرسة الأصولية في النجف، ثم استقر في قم، حيث مارس التدريس والتأليف في الفلسفة

والكلام والتفسير. وقد ألّف *الميزان* في ظل أوضاع فكرية معقدة، اتسمت بتصاعد النزعة المادية والعلمانية، وتزايد الطعون بالشريعة من بعض الاتجاهات الغربية والداخلية. ومن هنا، جاء تفسيره استجابةً لتحديات العصر، وسعيًا لتقديم قراءة تفسيرية عقلانية، تجمع بين **التحقيق الفلسفي، والعمق الروائي، والاستدلال القرآني**، بغرض تجديد الفكر الديني ضمن إطار مدرسة أهل البيت.إنّ *الميزان* ليس مجرد تفسير تقليدي للآيات، بل هو مشروع علمي متكامل، أعاد فيه الطباطبائي صياغة الفهم الديني في ضوء القرآن والعقل، مع الحفاظ على الانتماء الصريح إلى منهج **العترة النبوية**، مما جعل البناء العقائدي فيه يكتسب طابعًا تحليليًا رصينًا، يرتكز على التأصيل العقلي إلى جانب الرواية.وتبرز **إشكالية هذا البحث** في السؤال التالي :*ما هي ملامح البناء العقائدي في تفسير الميزان؟ وكيف يتجلى الفكر الإمامي في طرح الطباطبائي للعقائد الإسلامية؟* وتسعى الدراسة إلى تحليل هذا البناء، والكشف عن أسسه المنهجية، وبيان كيفية تعبيره عن الخصوصية الشيعية في عرض أصول الدين، ولا سيما قضايا **التوحيد، والإمامة، والعدل، والمعاد**. وتتحدد **أهداف هذا البحث** بما يلي:

١. تحليل البنية العقائدية في تفسير الميزان.
٢. بيان أثر المنهج الإمامي في توجيه الفهم العقدي للطباطبائي.
٣. تقويم مدى التوازن بين النقل والعقل في معالجة القضايا الإيمانية. وسيعتمد البحث على المنهج **التحليلي النقدي**، من خلال قراءة نصوص تفسير الميزان قراءةً تفسيرية عقدية، ومقارنتها بأصول الفكر الإمامي، مع الإشارة إلى بعض المقارنات عند الحاجة، خاصة مع الاتجاهات الكلامية الأخرى.

أولًا: أهمية الموضوع

تنبع أهمية هذا الموضوع من كونه يتناول أحد أبرز أوجه التفسير المعاصر للقرآن الكريم،

١. يساهم في بيان دور الطباطبائي في تطوير الخطاب التفسيري الشيعي، من خلال الجمع بين الأصالة النصية والتجديد العقلي.
٢. يعزّز فهم الخصوصية العقدية للفكر الإمامي من خلال تحليل تأويلي لآيات العقيدة، وخاصة ما يتصل بأصول الدين الخمسة.
٣. يقدّم إطارًا نقديًا لتحليل التفسير العقائدي المعاصر، ويكشف عن تمايزه عن الاتجاهات السنية أو الفلسفية البحتة.

:إشكالية البحث

تُعدّ مسألة العقيدة من أهم المحاور التي تناولها المفسرون في قراءاتهم للقرآن الكريم، وقد شكّل تفسير *الميزان* للعلامة الطباطبائي نموذجًا فريدًا في بناء منظومة عقائدية قرآنية تنطلق من أسس العقل والنقل ضمن إطار الفكر الإمامي. ومن هنا، تنبع إشكالية هذا البحث من التساؤل المركزي الآتي:**ما طبيعة البناء العقائدي في تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي؟ وكيف تجلّى الفكر الإمامي في معالجته للقضايا العقدية القرآنية؟**

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف المعرفية والعلمية، من أبرزها:

١. **تحليل الرؤية العقدية في تفسير الميزان**، واستكشاف منهج الطباطبائي في تناول قضايا العقيدة.
٢. **الكشف عن أثر الفكر الإمامي** في تشكيل البناء العقائدي لدى الطباطبائي، من خلال ربطه بالمصادر الأصلية للمدرسة الإمامية.
٣. **تقويم منهج الطباطبائي** في ضوء التوازن بين التفسير العقلي والنقلي، ومدى نجاحه في تقديم نموذج عقدي معاصر.
٤. **إبراز القيمة الفكرية والعقائدية** لتفسير الميزان في سياق التفاسير الإمامية الحديثة.

منهج البحث:

يعتمد هذا البحث على منهج **تحليلي نقدي مقارن**، يدمج بين التحليل النصي والاستقراء والمقارنة العقائدية. ويقوم على:

- **التحليل النصي** لمواضع الطباطبائي التفسيرية التي تتناول قضايا العقيدة، من حيث البنية المفهومية والاستدلال.**الاستناد إلى الفكر الإمامي** بمقارنة ما ورد في *الميزان* مع الأصول الكلامية لمدرسة أهل البيت (عليهم السلام)**النقد والمقارنة** بين معالجة الطباطبائي للعقائد ومقاربات المفسرين من المدارس السنية والعقلانية.خطة البحث (عرض لأبرز محاوره ومباحثه).المبحث الأول: الإطار المفاهيمي والمنهجي للبناء العقائدي في تفسير الميزان المطلب الأول: التعريف بالبناء العقائدي وأهميته في التفسير
  - مفهوم البناء العقائدي في التفسير.
  - الفرق بين البناء العقائدي والبناء الفقهي أو الأخلاقي.المطلب الثاني: المنهج التفسيري عند العلامة الطباطبائي في الميزان

- التعريف بالعلامة الطباطبائي ومنهجه العقلي والنقلي.

المبحث الثاني: أبرز القضايا العقائدية في تفسير الميزان ومرجعيتها الإماميةالمطلب الأول: التوحيد والصفات الإلهية

- التحليل العقائدي للآيات المتعلقة بالتوحيد.
- موقف الميزان من الصفات الخبرية وتأويلها.

المطلب الثاني: الإمامة والولاية

- تفسير الآيات المرتبطة بالإمامة (مثل آية الولاية، آية أولي الأمر).
- مدى انعكاس الفكر الإمامي على الطرح التفسيري.

المبحث الثالث: تقييم البناء العقائدي في تفسير الميزان في ضوء الفكر الإمامي

المطلب الأول: مدى التزام تفسير الميزان بأصول الفكر الإمامي

المطلب الثاني: التجديد والعمق العقائدي عند الطباطبائي

- كيف وظف الطباطبائي العقل والفلسفة في خدمة العقيدة.
- التميّز في معالجة المسائل الخلافية مع الفرق الأخرى.

الخاتمة تتضمن:أهم النتائج التي توصل إليها البحث. أبرز التوصيات

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي والمنهجي للبناء العقائدي في تفسير الميزان

البناء في اللغة :يعني تجميع الأشياء معًا، ويُستخدم هنا للإشارة إلى الأمور الحسية. ومع ذلك، فقد تم استعارة هذا المصطلح في العصر الحديث ليشير إلى البناء المعنوي، والذي يتضمن مجموعة من المعارف والمفاهيم والخبرات والمهارات التي ينبغي أن يتحلى بها المسلم ليتمكن من المشاركة بشكل إيجابي وفعّال في إعمار الأرض.[١]العقيدة في اللغة مأخوذة من العقد وهو الشد والربط بإحكام عقيدة الرجل: « دينه الذي يعتقده»[٢] وتأتي بمعنى العهد. يقال: بين هذه القبيلة وتلك عقد أي: عهد. وجمعه عقود. ومنه قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ} [المائدة: من الآية ١] ؛ أي: أوفوا بالعهود التي أكدتموها.[٣] و العقيدة في الاصطلاح العام: هي ما يعقد عليه الإنسان قلبه سواء الإنسان:أو باطلاً، وأما العقيدة الإسلامية اصطلاحا كان حقا إليمان الجازم بالله تعالى ومالئكته وكتبه ورسله واليوم آلآخر والقدر خيره وشره[٤]

– التأكيد. يقال: عقد البيع، إذا أكده. ومنه العقد المكتوب في البيع؛ إذ هو لم يكتب إلا بعد إيقاع البيع وتأكيده

– التصديق الجازم فيما يجب لله عز وجل من الوحدانية، والربوبية، والإفراد بالعبادة، والإيمان بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا [٥]

– تصميم القلب، والاعتقاد الجازم الذي لا يخالطه شك في المطالب الإلهية، والنبوات، وأمور المعاد، وغيرها مما يجب الإيمان به [٦] والمطالب الإلهية: الإيمان بالله في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته.

مفهوم البناء العقائدي في التفسير :يشير البناء العقائدي في التفسير القرآني إلى النظام المنهجي المستخدم لاستخراج القضايا العقدية من نصوص القرآن الكريم، وتوظيفها في تشكيل رؤية إيمانية شاملة توضح أصول الدين ومعانيه الأساسية، مثل التوحيد، والنبوة، والمعاد، والإمامة، والعدل، ضمن إطار معرفي يجمع بين النقل والعقل.يعتمد هذا البناء على الربط الموضوعي بين الآيات التي تحمل أبعادًا عقدية، وتفسيرها بما يعكس نظام المعتقد الذي ينتمي إليه المفسر. كما يأخذ في الاعتبار التفسير الداخلي للقرآن (حيث يفسر القرآن بعضه البعض)، ويستند إلى الروايات المعتبرة، خاصة في المدارس التي تعتمد النص الروائي مثل المدرسة الإمامية.وقد عرّفه د/ عبد الكريم بأنه:"محاولة لاستنطاق الآيات القرآنية في سياقها العقدي، وربطها بالمفاهيم الإيمانية الأساسية التي تُشكّل جوهر العقيدة الإسلامية، وفق رؤية مذهبية أو فلسفية تحكم منهج المفسّر وتوجّه قراءته"[٧]في إطار التفسير الإمامي، يعتمد البناء العقائدي غالبًا على مبدأ "العقلانية المؤمنة"، الذي يدمج بين برهان العقل وهدي الرواية. لا يقتصر هذا التفسير على المعاني الظاهرة للآيات القرآنية، بل يُفهم في سياق مقاصده الغيبية والربانية، مع الاستناد إلى أحاديث أهل البيت (عليهم السلام)، الذين يُعتبرون في الفكر الإمامي "المرجع الموثوق في تفسير القرآن".وقد أبرز الامام الطباطبائي في تفسيره "الميزان" هذا البناء العقدي، حيث اعتبر التفسير وسيلة لتعزيز أصول العقيدة. يتجلى ذلك في تفسيره لآيات التوحيد والولاية والمعاد، مما أسس لمشروع تأصيلي عقدي متكامل ضمن المنظومة القرآنية.

المطلب الثاني:التمييز بين البناء العقائدي وغيره من الأبنية التفسيرية (الفقهية والأخلاقية)

يُعدّ التمييز بين أنماط البناء التفسيري أمرًا ضروريًا في الدراسات القرآنية التحليلية، وخاصة عند تناول نموذج مثل *تفسير الميزان* للعلامة الطباطبائي، الذي يتّسم بتنوع منهجي واضح. وفي هذا السياق، يتّضح أن (البناء العقائدي) يُعنى أساسًا بتوظيف النصوص القرآنية لبناء منظومة فكرية متكاملة حول قضايا العقيدة الكبرى، مثل التوحيد، والنبوة، والمعاد، والإمامة، والعدل، وذلك انطلاقًا من مبادئ عقلية ونقلية منسجمة مع الرؤية الإمامية.أما (البناء الفقهي)، فينصرف إلى بيان الأحكام الشرعية المستنبطة من الآيات ذات الطابع التشريعي، كأحكام العبادات والمعاملات والحدود والميراث، في ضوء أدوات الاستنباط الأصولي والفقهي.و كان الصحابة في زمن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يستوعبون معاني القرآن بفضل فصاحتهم العربية، وعندما يواجههم صعوبة في فهم آية ما، كانوا يعودون إلى رسول الله ليشرحها لهم. بعد وفاة النبي –صلى الله عليه وسلم– تولى فقهاء الصحابة، تحت قيادة الخلفاء الراشدين، توجيه الأمة. وقد ظهرت قضايا جديدة لم يسبق لهم التعامل معها، فكان القرآن مرجعًا لهم لاستنباط الأحكام الشرعية المتعلقة بتلك القضايا. كانوا يتفقون غالبًا على الآراء، ونادرًا ما يحدث خلاف بينهم، كما في مسألة عدة الحامل المتوفى عنها زوجها. هل هي وضع الحمل، أم مضي أربعة أشهر وعشر، أم الأجل الأطول بينهما؟ حيث قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً}، ١ البقرة: ٢٣٤ وأيضًا: {وَأُولاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ}. الطلاق: ٤ وقد كانت هذه المسائل، رغم قلة عددها، بداية للخلاف الفقهي في فهم آيات الأحكام. مع ظهور الأئمة الفقهاء الأربعة، وضع كل إمام أصولًا خاصة لاستنباط الأحكام في مذهبه. ومع تزايد الأحداث وتنوع المسائل، زادت أوجه الاختلاف في فهم بعض الآيات بسبب اختلاف دلالاتها، دون تعصب لمذهب معين، بل تمسكًا بما يراه الفقيه. [٨]وقد أشار العلامة الطباطبائي بوضوح إلى هذا التمايز في مقدمة تفسيره، موضحًا أن القرآن "كتاب هداية" ليس فقط على مستوى العمل، بل على مستوى الفكر والعقيدة أيضًا، حيث قال:"القرآن كتاب هداية، يهدي في العقيدة كما يهدي في العمل، وقد بيّن أصول الدين، كما بيّن فروعه، وميّز بين ما يُعقل بالعقل البرهاني، وما يُعمل به بالتكليف الإلهي."[٩]كما يؤكد في موضع آخر أن القرآن له مستويات متعددة من الدلالة، منها ما يخاطب العقل، ومنها ما يخاطب الإرادة والسلوك، وهو ما يعكس تعددية المقاصد والمناهج:"في كلامه تعالى معانٍ دقيقة لا ينالها إلا أهل الذكر، وفيه ما يخاطب به العقول، كما يخاطب به النفوس."[١٠]

ولعل المثال التفسيري التالي يوضّح الفروقات: فقوله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] يُفسَّر عقائديًا على أنه دعوة للاستمرار في العبادة حتى حضور الموت واللقاء الإلهي، ويُفسَّر فقهيًا بالمواظبة على الفرائض، وأخلاقيًا بأنه دعوة إلى بلوغ مقام الإخلاص واليقين التام. إن فهم الفروقات المنهجية بين أنماط البناء التفسيري يعد أمرًا ضروريًا لاستيعاب *الميزان* في سياق مشروعه العقدي. فالمشروع لا يقتصر على تفسير الآية من منظورها اللغوي أو التشريعي فحسب، بل يتعمق أيضًا في خلفيتها العقائدية ضمن إطار فكري متكامل يعكس رؤية مدرسة أهل البيت (ع).[١١]

المبحث الثاني: محمد حسين الطباطبائي (١٨٩٢ – ١٩٨١)

هو آية الله السيد محمد حسين الطباطبائي (١٨٩٢ – ١٩٨١) عالم ومفسر وفيلسوف إسلامي ومرجع دين شيعي، صاحب الكتاب الشهير الميزان في تفسير القرآن الذي يعتبر من أفضل التفاسير إن لم يكن أفضلها على الإطلاق(١٢).وُلد في مدينة في منطقة "شاد آباد" إحدى توابع محافظة تبريز الإيرانية في التاسع و العشرين من شهر ذي الحجة لعام ١٣٢١ هجري (١٨٩٢ ميلادي)، في أسرة عرفت بالعلم، حيث اشتهرت أسرته منذ القدم بالفضل والعلم والرياسة، وكانت سلسلة أجداده الأربعة عشر الماضين من العلماء المعروفين فيها(١٣). تنتهي سلسلة نسب العلامة الطباطبائي من جهة الأب إلى الإمام الحسن المجتبى عليه السلام عن طريق إبراهيم بن إسماعيل الديباج، فيما ينتهي نسبه من جهة الأم إلى الإمام الحسين عليه السلام. توفيت والدته وهو في الخامسة من عمره فيما توفي والده عندما بلغ التاسعة فعاش يتيم الأبوين[١] هو وأخوه الأصغر السيد محمد حسن. أنهى المراحل الأولى لدراسته الشرعية عند الأساتذة المعروفين في مدينة تبريز ، ثمّ سافر إلى مدينة النجف الأشرف في العراق لإكمال دراسته الحوزوية ، وبقي هناك ١١ سنة ، يحضر دروس الفقه والأصول عند كبار العلماء . لم يكن السيّد الطباطبائي مجتهداً في العلوم العقلية والنقلية فحسب ، بل كان أديباً ، وشاعراً ماهراً ، كتب القصائد الشعرية باللغتين العربية والفارسية ، وكان فنّاناً بارعاً بالخط ، وله منظومة في آداب الخط ضمَّها إلى أحد مؤلَّفاته .

من مؤلفاته تفسير الميزان

سطر قلم العلامة الطباطبائي عيون المؤلفات التي أغنت المكتبة الإسلامية في أكثر من حقل معرفي، منها: تفسير الميزان في (٢٠) جزءاً باللغة العربية، وترجم إلى الفارسية والإنكليزية.ويتناول كتاب الميزان بالبحث، وهو كتاب لم يؤلف للعامة – في رأيه – بل للعلماء لما فيه من

[١]

أبحاث دقيقة، وهو من أحسن التفاسير في العصر الحديث[١٤]. يعتمد الكتاب منهج تفسير القرآن بالقرآن بالإضافة إلى الخوض في المباحث اللغوية والتعرض إلى مواضيع شتّى شملت المباحث الحديثية التاريخية الكلامية الفلسفية والإجتماعية والعلمية[١٥] وتمّت ترجمة جميع المجلدات العشرين من تفسير الميزان إلى الفارسية وفي ٤٠ مجلداً في فترة حياة العلامة الطباطبائي وتحت إشرافه شخصياً من قبل شخصيات كبيرة منهم الشيخ مكارم الشيرازي، والشيخ مصباح اليزدي، ومحمد جواد حجتي كرماني، والسيد محمد الخامنئي، ومحمد رضا الصالحي الكرماني وغيرهم. كما ترجم وطبع كتاب الميزان ترجمة أخرى من قبل حجة الاسلام والمسلمين المرحوم السيد محمد باقر الموسوي الهمداني "والذي كان من تلاميذ العلامة" وتحت إشراف الأستاذ نفسه. وقد جددت طباعة الترجمتين عدّة مرات. كما ترجمت أجزاء من الكتاب إلى اللغات الإنجليزية والأوردية وطبعت بهذه اللغات[١٦].

المبحث الثاني: أبرز القضايا العقائدية في تفسير الميزان ومرجعيتها الإمامية

المطلب الأول: التوحيد والصفات الإلهية

- التحليل العقائدي للآيات المتعلقة بالتوحيد.

نجد الشواهد التي « الميزان »يسوقها السيّد الطباطبائي كثيرة على هذا المعنى. فعند قوله سبحانه{إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النّاسِ بِما أَراكَ اللهُ وَلا تَكُنْ لِلْخائِنِينَ خَصِيماً } النساء (١٠٥) تراه يكتب بأنّ هذا المعنى للآية وعدد آخر منالايات أمثالها ""متعرّض للجليل والدقيق من المعارف الإلهية (الفلسفية)، والأخلاق الفاضلة، والقوانين الدينية الفرعية من عبادات ومعاملات وسياسات واجتماعات وكلّ مايمسّه فعل الإنسان وعمله، كلّ ذلك على أساس الفطرة وأصل التوحيد، بحيث ترجع التفاصيل إلى أصل التوحيد بالتحليل ويرجع الأصل إلى التفاصيل بالتركي""[١٧] وعلى هذا عندما يأتي إلى الطاعات يقول: إنّما كانت طاعة لأنهّا تقرّب الإنسان إلى التوحيد، وعن المعصية: إنّما كانت معصية لأنهّا تبعّد الإنسان عن التوحيد. في موضع آخر ربّما كان أوضح تفصيلاً، يعقّب السيّد الطباطبائي على قوله سبحانه: {الر كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ } هود (١) بقوله المختلفة من أصول المعارف الإلهية والأخلاق الكريمة الإنسانية، والأحكام الشرعية الراجعة إلى كلّيات العبادات والمعاملات والسياسات والولايات، ثم وصف عامة الخليقة كالعرش والكرسي واللوح والقلم والأرض والملائكة والجن والشياطين والنبات والحيوان والإنسان، ووصف بدء الخليقة وما ستعود إليه من الفناء والرجوع إلى الله سبحانه، وهو يوم البعث بما يتقدّمه من عالم القبر وهو البرزخ، ثمّ القيام لربّ العالمين والحشر والجمع والسؤال والحساب والوزن وشهادة الأشهاد، ثمّ فصل القضاء، ثم الجنةّالنار بما فيهما من الدرجات والدركات.ثمّ وصف الرابطة التي بين خلقة الإنسان وبين عمله، وما بين عمله وما يستتبعه من سعادة أو شقاوة إلى آخره. فالآيات القرآنية[١٨]. فعند تفسيره قوله سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] يرى الطباطبائي أن هذه الآية تمثّل قاعدة قرآنية في نفي التشبيه، ويستخدمها أساسًا في بناء العقيدة التنزيهية:"في الآية نفي للتشبيه، وهو أساس في العقيدة التوحيدية، والمراد أنه تعالى لا يُدرك بالحواس، ولا يتحد مع شيء، ولا يشبهه شيء."[١٩] . وعند تفسيره قوله سبحانه تعالى:﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] يشرح الطباطبائي المعية بأنها معية علم وقدرة، لا معية مكانية:"هو معكم بعلمه وإحاطته، لا بذاته، تعالى عن أن يحلّ في مكان، فإن ذاته منزهة عن الحدّ والمقدار."[٢٠]

يحسن التنبه إلى القيد الذي يقيّد به التوحيد في قوله، إذ يُقصَد بـ"توحيده تعالى توحيد الإسلام" التوحيد الخالص الذي يميّز العقيدة الإسلامية عن غيرها من العقائد السماوية. فالموحّد في الإسلام لا يكتفي بالإقرار بوجود خالق، بل يؤمن بأن الله سبحانه هو ربّ كل شيء وحده، لا شريك له في ربوبيته، ويسلّم له تسليماً كاملاً في كل نواحي الحياة. فلا يخضع قلبه ولا ينقاد عمله إلّا له جلّ شأنه، دون أن يتبنى مفهوماً ميتافيزيقياً مجرداً كـ"واجب الوجود" الذي تتبناه الفلسفة أو علم الكلام، بل يعتقد اعتقادًا جازمًا بأن الله هو المدبّر المطلق لشؤون الكون، وربّ العالمين وحده. بناءً على هذا الأساس، يُعدّ القرآن الكريم حقّ التوحيد أسمى الحقوق وأعلاها في نظام الوجود، إذ يحتلّ موقع الأسبقية على سائر الحقوق والعقائد والتشريعات. ويُفهم من ذلك أنّه إذا وُجد تعارض أو اصطدام بين التوحيد وبين أيّ عنصر من عناصر المنظومة العقدية أو الأخلاقية أو السلوكية أو التشريعية، فإنّ الغلبة تكون لحق التوحيد، لأنه الأصل الذي تُبنى عليه سائر الحقوق. ومن هذا المنطلق، فإذا ارتدّ الإنسان عن دينه، فإنّ الحكم في شأنه لا يُبنى على أساس حق الحياة، بل على أساس المساس بحق التوحيد، لأن التوحيد مقدّم عند التزاحم بينه وبين غيره من الحقوق، بما في ذلك حق الحياة نفسه.

٢- موقف الميزان من الصفات الخبرية وتأويلها.

يوضح السيّد الطباطبائي في تفسير الميزان موقفه من (الصفات الخبرية) "التي وردت في القرآن بصيغ خبرية أو تشبيهية) بأنّها تُؤوَّل تفسيرًا محقّقًا لا تُفهم بمعناها الحرفي أو المجازي السطحي:

١. التأويل كإرجاع المعنى إلى ظاهره الواقعي

يوضح الطباطبائي أن تأويل المتشابه (مثل صفات "العلم"، "القدرة" لله) ليس مجرد تفسير أو معنى مخالف، بل هو استدلال على حقيقة خارجية: أي أن المعاني الأصلية للصفات تعالى –كالعلم والقدرة– موجودة لكن حقيقتها لا تُدرَك جزئياتها وأبعادها إلّا بالله عزّ وجلّ .

* مثال ذلك: قوله "إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" و"عَلِيمٌ"، فنحن ندرك أن الله قدير عليم، لكن "حقيقة علمه وقدرته وكيفية أفعاله" تبقى غيبًا لا يعلمها إلا هو [٢١]

٢. موقفه من قضية "التأويل" اصطلاحيًا :يميّز طباطبائي بين أربعة أقوال في معنى التأويل:

القول الأول: التأويل بمعنى التوضيح، وهو المقصود من الكلام، وإذا كان المراد من بعض الآيات معروفا بالضرورة، كان المراد بالتأويل { وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاّ اللهُ وَالرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبّنا وَما يَذَّكَّرُ إِلاّ أُولُوا الْأَلْبابِ } آل عمران: ٧. لا يعرف المعنى المتشابه إلّا الله والراسخون في العلم.[٢٢]يرى البعض أن التأويل بمعنى التفسير هو قول المتقدمين، وبناء على هذا أصبح لكل آيات القرآن تأويل، عدا المتشابه استنادا لقوله تعالى: (وما يعلم تأويله إلا الله) فلا أحد يعرف تأويل المتشابه من الآيات إلّا الله.([٢٣]) يؤيد السيد الطباطبائي أن المتشابه لا يعلمه إلّا الله والراسخون في العلم؛ ونقل خبرا عن ابن عباس أنه كان يقول: أنا من الراسخين في العلم وانا أعلم تأويله،([٢٤]) ومفاد القول تخصيص تأويل المتشابه من الآيات بالله تعالى والراسخين في العلم وغير المتشابه متاح تفسيرها للأمة؛ يرى أبو عبيدة: أن التأويل والمعنى والتفسير تعطي ذات المعنى.([٢٥])

القول الثاني: المقصود من التأويل المعنى المنافي لظاهر اللفظ، وهو الشائع عند المتأخرين، ([٢٦]) يقول الرّازي: التأويل هو البعد عن المعنى الظاهري للفظ استنادا إلى الدليل والقرينة، والتي لها تأويل هي الآيات المتشابهة فقط.([٢٧])

القول الثالث: التأويل أحد معاني الآية الذي لا يعلمه إلّا الله تعالى، أو لا يعلمه إلّا الله والراسخون في العلم مع عدم كونه خلاف الظاهر، وهذا القول لا يتفق مع القول الثاني الذي حدد المعنى بالمخالف لظاهر اللفظ، في هذا القول الثالث يقول الطباطبائي: إنّ للآية المتشابهة معان متعددة بعضها تحت بعض منها ما هو تحت اللفظ يناله جميع الأفهام، ومنها ما هو أبعد منه لا يناله إلا الله تعالى والراسخون في العلم. يقول السيد الطباطبائي: اختلفت الرؤى في كيفية ارتباط المعاني المتعددة باللفظ فهو لا يتوافق مع من يذهب أن اللفظ القرآني يستعمل في أكثر من معنى. ويقصد المعنى في المتشابه، وعنده استعمال اللفظ في أكثر من معنى غير جائز، بل يرى أن اللفظ له معان مترتبة بحيث يكون له معنى مطابق وله لازم وهكذا يتدرج في المعاني، هي معان مترتبة بعضها على بعض ترتب الباطن على ظاهره، فإذا قال المرء اسقني، فاللفظ طلب يلبي السقي، وهو طلب للإرواء، وطلب لرفع الحاجة الوجودية، وطلب للكمال الوجودي، فهذه كلّها أوامر ومطالب لكنها مترتبة وجاءت بطلب واحد هو طلب السقي، فهذه المطالب جاءت بعضها في باطن بعض، والسقي مرتبط بها ومعتمد عليها، هذا القول يذهب إلى أن لفظ الآية المتشابهه له ظهر وبطن، والبطن يتبعه بطن وهكذا، وهذا الأمر لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم.

انتهى السيد الطباطبائي إلى الاستنتاج التالي: إنّ التفسير هو الحقيقة الفعلية التي تستند إليها المعطيات القرآنية من حكم وعظة وغيرها، وهي حاضرة في جميع الآيات القرآنية، مُحكمها ومتشابهها، وهذه الحقيقة لا تلمّ بها العبارات، وإنّما حدّها الله عز وجل بالعبارات لغرض توضيح المعنى للأفهام، قال تعالى { وَالْكِتابِ الْمُبِينِ إِنّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتابِ لَدَيْنا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ (٤)} الزخرف: ٢ – ٤.

٣. في تفسير المتشابه وبيان تأويله :يقول الطباطبائي المحكم والمتشابه

الإحكام والتشابه من الألفاظ المبينة المفاهيم في اللغة ، وقد وصف بهما الكتاب كما في قوله تعالى : (كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ) هود . ١ ، وقوله تعالى : (كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ) الزمر . ٢٣ ، ولم يتصف بهما الا جملة الكتاب من جهة إتقانه في نظمه وبيانه ومن جهة تشابه نظمه وبيانه في البلوغ إلى غاية الإتقان والإحكام.لكن قوله تعالى : (هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ) الآية ، لما اشتمل على تقسيم نفس آيات الكتاب إلى المحكمات والمتشابهات علمنا أن المراد بالإحكام والتشابه هاهنا غير ما يتصف به تمام الكتاب ، وكان من الحري البحث عن معناهما وتشخيص مصداقهما من الآيات ، وفيه أقوال ربما تجاوزت العشرة :[٢٨]

الاستنتاج :لا نأخذ الصفات الخبرية على ظاهرها كما يفعل بعض الفلاسفة أو المعتزلة بالتجريد، ولا نكتفي بمعنى ظاهر فقط، وإنما نحقق معناها بالتأويل الذي يوافق النقل والعقل.

المطلب الثاني: الإمامة والولاية

تُعتبر الإمامة والولاية من الدعائم الجوهرية في الفكر الإمامي، وقد أوليت اهتماماً خاصاً من قبل العلماء والمفسرين الشيعة، وفي مقدمتهم السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسيره الشامل "الميزان في تفسير القرآن". لم يتناول الطباطبائي هذه القضايا بمنهج نقلي تقليدي فقط، بل قدّم قراءة فكرية ولغوية وفلسفية للآيات المتصلة بالإمامة، معتمداً على أسلوب التأويل وقراءة السياق القرآني في ضوء الحديث الشريف والمعارف العقلية.

•تفسير الآيات المرتبطة بالإمامة (مثل آية الولاية، آية أولي الأمر).

أولاً: آية الولاية قوله تعالى﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾(المائدة: ٥٥)

يفسّر السيد الطباطبائي هذه الآية بوصفها دالّة على الولاية التشريعية لا الولاية العامة أو الودّ، ويؤكّد نزولها في شأن علي بن أبي طالب (عليه السلام) عندما تصدّق بخاتمه وهو راكع، مستدلًا بروايات من الفريقين[٢٩]. ويُبرز أن الولاية هنا ليست ولاية النصرة، بل هي ولاية الحكم والطاعة، أي أن لله ولرسوله وللإمام الحقّ في القيادة والتصرف في شؤون الأمة.

ثانياً: آية أولي الأمر قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾(النساء: ٥٩)

يُبيّن الطباطبائي أن طاعة أولي الأمر مستقلة عن طاعة الرسول، مما يوجب أن يكون أولي الأمر معصومين مثل الرسول، إذ لا يصحّ الأمر بطاعة من يحتمل خطأه أو ضلاله. ويرى أن المقصود بأولي الأمر هم الأئمة المعصومون من أهل البيت (عليهم السلام)، مستندًا إلى نصوص متواترة.[٣٠]

ثالثاً: آية إكمال الدين قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾(المائدة: ٣)

يربط الطباطبائي بين هذه الآية وحديث الغدير، ويرى أن إكمال الدين وإتمام النعمة تمّ بتنصيب الإمام علي (عليه السلام) خليفة بعد النبي (صلى الله عليه وآله)، إذ لا يكتمل الدين بدون وجود قيادة معصومة تضمن تطبيق الشريعة بعد ختم النبوة.[٣١]

رابعاً: آية المباهلة قوله تعالى ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ...﴾ (آل عمران: ٦١)

يفسّر الطباطبائي تعبير "أنفسنا" الوارد في الآية بأنه يشير إلى منزلة الإمام علي (عليه السلام) التي تجعله نفسَ النبي في المقام الروحي والمعنوي، ما يدلّ على أحقّيته بالخلافة بعد النبي. ويرى أن واقعة المباهلة تكشف مكانة خاصة لأهل البيت (عليهم السلام) في التشريع والقيادة.[٣٢]

النبوة:

تفسير قوله تعالى:﴿مَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٣–٤] يؤسس الطباطبائي من هذه الآية قاعدة في عصمة النبي (صلى الله عليه وسلم)، وأن أقواله كلها حجة:"نفي الهوى عن نطق النبي ليس خاصًا بالقرآن، بل يشمل كل ما يصدر عنه مما يرتبط بالهداية، لأنه مؤيَّد بالوحي على الدوام.[٣٣]"

٢: تفسير قوله تعالى:﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ...﴾ [الأحزاب: ٧]يشير إلى أن النبوة منصب إلهي قائم على الاصطفاء والعهد الإلهي: "الميثاق عهد رباني يقتضي العصمة، ولا يمكن التفريط به، وهو دليل على كون النبوة مقامًا خاصًا غير مكتسب."[٣٤]

فى تفسير قوله تعالى:﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [السجدة: ٢٤]يرى أن الهداية بالأمر تعني العصمة والقيادة التكوينية:"الهداية بأمر الله تدل على أن هؤلاء الأئمة مفطورون على الهداية، فهي ليست تعليمية فقط، بل تكوينية متصلة بالله مباشرة."[٣٥]

فى تفسير قوله تعالى:﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا...﴾ [المائدة: ٥٥]

يؤكد الطباطبائي أن هذه الآية نزلت في شأن علي بن أبي طالب (ع)، ويرى أن الولاية هنا بمعنى الإمامة الشرعية:القرائن الداخلية والروائية تدل على أن المقصود بالذين آمنوا هنا هو علي (ع)، والولاية ولاية قيادة دينية وتشريعية."[٣٦]

٢- مدى انعكاس الفكر الإمامي على الطرح التفسيري

يظهر بوضوح من خلال منهج السيد الطباطبائي في تفسير "الميزان" تأثره العميق بالفكر الإمامي من حيث الأسس العقدية والمنهج التأويلي. فقد عمل على إبراز البعد العقدي في النص القرآني، وخصوصًا في مسألة الإمامة، وجعلها مرتبطة بمهمة النبوة واستمرار الهداية الإلهية. وقد وظف الروايات المعتمدة لدى الإمامية، مع التدقيق العقلي والدلالي للنصوص القرآنية، ليبرهن أن الإمامة ليست منصبًا دنيويًا بل مقام إلهي مرتبط بإتمام الدين وصيانة الشريعة. وبذلك يتجلى التماثل بين التفسير العقلي والنقل المأثور عند الطباطبائي، بما يعكس فلسفة الإمامة في الفكر الشيعي.

المبحث الثالث: تقييم البناء العقائدي في تفسير الميزان في ضوء الفكر الإمامي

المطلب الأول: مدى التزام تفسير الميزان بأصول الفكر الإمامي

يُعدّ تفسير الميزان من أبرز التفاسير الشيعية التي قدّمت عرضًا متماسكًا وممنهجًا للعقيدة الإمامية ضمن الإطار القرآني، ويظهر التزام السيد الطباطبائي واضحًا بأصول العقيدة الإمامية، وهي :**التوحيد، العدل، النبوة، الإمامة، والمعاد**، باعتبارها منظومة متكاملة تفسّر علاقة الإنسان بالله وبالكون.

1.التوحيد يُركّز الطباطبائي على التوحيد بأبعاده الثلاثة: توحيد الذات، الصفات، والأفعال، مع رفض التجسيم والتشبيه، وهو ما يتوافق مع عقيدة الإمامية القائلة بتنزيه الله عزّ وجلّ عن الجسم والمكان. ويبرز ذلك في تفسيره للآيات المرتبطة بالصفات الخبرية مثل:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾(*طه: ٥*حيث يرفض المعنى الظاهري للاستواء ويُرجعه إلى الهيمنة والسلطة، انسجامًا مع مبادئ التنزيه العقلي والعقدي.

– **2.العدل** يعتمد الطباطبائي في فهم العدالة الإلهية على مبادئ العقل العملي والمجرد، ويُبرز أن الله لا يظلم أحدًا، وأن أفعاله قائمة على الحكمة، مؤكدًا بذلك الأصل الثاني من أصول العقيدة الإمامية، كما في تفسيره لقوله تعالى:﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (*الكهف: ٤٩*

3.النبوة يركز الطباطبائي على دور الأنبياء في إيصال الهداية الإلهية ويؤكد عصمتهم، ويُفسّر الآيات المتعلقة بالأنبياء تفسيرًا عقليًا متسقًا مع الموقف الإمامي من النبوة، كما في قوله تعالى:

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (*النجم: ٣–٤* .

4.الإمامة كما هو مبين في المباحث السابقة، يلتزم الطباطبائي بإثبات الإمامة كامتداد للنبوة، مستخدمًا النصوص القرآنية مع الروايات المتواترة، مثل تفسيره لآية الولاية (المائدة: ٥٥) وآية أولي الأمر (النساء: ٥٩ .

5.المعاديرى الطباطبائي أن المعاد جسماني وروحي معًا، ويعارض تأويل المعاد تأويلاً رمزيًا كما ذهب إليه بعض الفلاسفة، ويستند في ذلك إلى صريح القرآن الكريم، مثل قوله تعالى:﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (*آل عمران: ٤٦*

وفي مقارنة مع بعض التفاسير الأخرى:الرازي في التفسير الكبير يذكر المعاد الجسماني والروحاني، لكنه يترك الباب مفتوحًا لتأويلات الفلاسفة.[٣٧]أما الزمخشري في الكشاف، فركز على الجانب البلاغي، دون الدخول العميق في طبيعة المعاد، وإن كان ظاهر تفسيره لا ينكر الجسمانية[٣٨]. في المقابل، نجد الفخر الرازي يتأثر في مواضع ببعض الاتجاهات الفلسفية التي تؤول المعاد إلى معنى رمزي.

بينما يتّسق تفسير الطباطبائي في هذه المسألة مع الاتجاه الإمامي الذي يرى أن المعاد من ضروريات الدين، ولا يُقبل تأويله تأويلاً مجازيًا يفرغه من مضمونه العقدي.[٣٩]

٢– المتعلقة بالإمامة، والعدل الإلهي، والمعاد. فقد استفاد من مقولات المتكلمين الإمامية، وأعاد صياغتها ضمن منهج قرآني عقلاني. يظهر هذا الأثر في تأكيده على العصمة، والنص، وعدم جواز تقديم غير المعصوم، وهي مبادئ أصيلة في علم الكلام الشيعي.

كما يظهر أثر التراث الكلامي في موقفه من الصفات الخبرية، حيث تبنّى نهج التأويل المعتمد على التنزيه العقلي، وهو ما يتوافق مع ما قرّره كبار المتكلمين كالمفيد والمرتضى والطوسي. كما استخدم الأدلة العقلية التي اعتمدها المتكلمون في نفي الجبر، وتأكيد الاختيار البشري ضمن عدالة الله، كما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (فصلت: ٤٦).

الرازي في مفاتيح الغيب يميل إلى تأويل واسع، ويرى أن الله لا يظلم لأنه غني عن العباد، لكنه لا يرفض الجبر صراحة.[٤٠]الزمخشري في الكشاف يوافق المعنى الظاهري ويؤكّد عدل الله، متأثرًا بالاتجاه المعتزلي، فيرفض الجبر.والطبري يرى أن المعنى: لا يعاقب أحدًا بغير ذنب، مستندًا إلى روايات، لكنه لا يدخل في تحليل عقلي معمق كما فعل الطباطبائي[٤١].

وبذلك تتجلّى في تفسير الميزان وحدة المنهج بين التفسير والكلام، حيث لم يكن الطباطبائي ناقلًا فقط للتراث، بل مارس فيه نقدًا وبناءً وتأصيلاً.

المطلب الثاني: أثر التراث الكلامي الشيعي في بناء التفسير:

استند الطباطبائي على نحو كبير على التراث الكلامي الشيعي في تشييد رؤيته التفسيرية، لا سيما في المباحث المختصة بالإمامة، والعدل الإلهي، والبعث. فقد انتفع من مقولات المتكلمين الإمامية، وأعاد صياغتها ضمن منهج قرآني عقلاني. يبدو هذا الأثر في تأكيده على العصمة، والنص، وعدم جواز تقديم غير المعصوم، وهي مبادئ أساسية في علم الكلام الشيعي.

كما يبدو أثر التراث الكلامي في موقفه من الصفات الخبرية، حيث اتّخذ نهج التأويل المعتمد على التنزيه العقلي، وهو ما يتناسب مع ما قرّره كبار المتكلمين كالمفيد والمرتضى والطوسي. كما استخدم الأدلة العقلية التي اعتمدها المتكلمون في نفي الجبر، وتأكيد الاختيار البشري ضمن عدالة الله، كما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (فصلت: ٤٦).

وبهذا تتبيّن في تفسير الميزان وحدة المنهج بين التفسير والكلام، حيث لم يكن الطباطبائي ناقلًا فقط للتراث، بل مارس فيه نقدًا وتشييدًا وتأصيلًا

المطلب الثالث:

برز الطباطبائي في تفسير الميزان بمستوى رفيع من التجديد والعمق الإيماني، وذلك عبر دمج الفكر الفلسفي بالنص القرآني، وتقديم معالجات دقيقة وعقلانية للمفاهيم الاعتقادية الكبرى، مع تمسكه بمنهج أهل البيت في التفسير والتأويل.

١-. توظيف الفلسفة والعقل في خدمة العقيدة

يُعدّ الطباطبائي من أبرز من وظّفوا الفلسفة في خدمة العقيدة الشيعية، دون أن يتورط في التناقض مع النصوص. مثال على ذلك: في تفسيره لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (النور: ٣٥) ، قدّم تأويلاً فلسفيًا عميقًا لماهية "النور"، ففسّره بأنه الوجود المحض الذي يُفيض النور على ما سواه، رابطًا ذلك بتوحيد الذات والصفات.[٤٢]

في مسألة المعاد، وعند تفسير قوله تعالى:﴿وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ (مريم: ٦٦) ، ناقش فكرة المعاد الجسماني والفروقات بينه وبين المعاد الروحي، مؤكدًا أن الإنسان يُبعث بجسمه وروحه، بخلاف بعض الفلاسفة الذين أوّلوا المعاد تأويلاً مجازيًا[٤٣].

٢. التميّز في معالجة المسائل الخلافية مع الفرق الأخرى

اتسمت طريقة الطباطبائي في عرض المسائل الخلافية بالحكمة والمنهج العلمي، دون تعصب أو تجريح. مثال على ذلك:

في مسألة صفات الله الخبريةعند تفسيره لقوله:﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ *(الفتح: ١٠) ،

رفض المعنى الظاهري الذي يذهب إلى التشبيه أو التجسيم، وردّ على المذهب الأشعري في إثبات الصفات من غير تأويل، مؤكدًا أن يد الله رمز للقدرة والسيطرة[٤٤].

ويناقش في موضع آخر مفهوم الجبر والتفويضفي قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (فصلت: ٤٦) ،ويفنّد آراء الأشاعرة في الجبر المطلق، ويقرّ مذهب "الأمر بين الأمرين" المعروف في مدرسة أهل البيت.[٤٥]

٣. صياغة منهج علمي جديد في التفسير العقائدي : مزج الطباطبائي التفسير الموضوعي والتحليلي، وربط بين الآيات في سياقاتها، فكان لا يفسر آية الإمامة أو المعاد بمعزل عن العقيدة، بل كجزء من بنية قرآنية متكاملة.

اعتمد كثيرًا على آيات المحكمات كأساس للعقيدة، واستدل بها على العصمة والإمامة والعدل الإلهي، موضحًا أن المفهوم العقدي القرآني لا يمكن فهمه بمعزل عن سياق العقل والنص معًا.

نتائج البحث:

١. أظهر تفسير الميزان التزامًا دقيقًا بأصول العقيدة الإمامية، ولا سيّما الإمامة، حيث قدّم السيد الطباطبائي تفسيرًا متكاملًا يعتمد على القرآن والعقل والرواية.

٢. ابتكر الطباطبائي منهجًا خاصًا يمزج بين التحليل الفلسفي والتفسير الموضوعي، مما جعله قادرًا على تقديم قراءة عقلانية للنصوص القرآنية، دون الإخلال بالثوابت العقدية.

٣. امتاز الطباطبائي بالهدوء العلمي في مناقشة المسائل العقائدية الخلافية مع باقي الفرق، حيث اعتمد الحجاج العقلي والدليل القرآني، دون انزلاق إلى الأسلوب الجدلي أو الطعن الشخصي.

٤ استطاع الطباطبائي استخدام الفلسفة، وخاصة الحكمة المتعالية، في تأصيل العقائد الإسلامية، مثل التوحيد، والعدل، والإمامة، والمعاد، مع بقاءه في دائرة النص القرآني.

*توصيات البحث:

١. يُوصى بإجراء دراسات مقارنة بين تفسير *الميزان* وغيره من التفاسير العقائدية عند الفرق الإسلامية، لا سيما تفسير *الرازي* و*البيضاوي*، لإبراز الفروقات المنهجية والعقدية.

٢. الاستفادة من أسلوب الطباطبائي في المزج بين العقل والنقل واللغة يمكن أن يشكّل نواة لمنهج حديث في تفسير القرآن في ضوء الفكر الإمامي.

٣. إعداد دراسات تطبيقية لمفاهيم العقيدة في ضوء الميزان: مثل دراسة العدالة الإلهية أو العصمة أو النبوة ضمن وحدات موضوعية، لاستخلاص الإطار المنهجي الذي اعتمده الطباطبائي.

المراجع والمصادر:

أولاً : القرآن الكريم

١. معجم مقاييس اللغة (١/٣١٩)

٢. والمحكم والمحيط ألعظم)١/١٦٨).

٣. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم)٧/٤٦٦٩)

٤. والقاموس المحيط للفيروزآبادي ص٣٨٣

٥. مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة ،للدكتور ناصر العقل.ص ٣

٦. الأسئلة والأجوبة في العقيدة للشيخ صالح الأطرم ص٧

٧. العقيدة الإسلامية وتاريخها للدكتور محمد أمان الجامي ص٥

٨. . البناء العقدي في التفسير الشيعي المعاصر، عباس، عبد الكريم، دار الولاء، ٢٠١٦، ص ٢٢

٩. مباحث في علوم القرآن المؤلف: مناع بن خليل القطان (ت ١٤٢٠هـ)مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ- ص ٣٨٦

١٠. الميزان في تفسير القرآن،٥ / ١٠

١١. مفاهيم القرآن، جعفر سبحاني ج١ / ٢٠-٢٣.

١٢. الطباطبائي، محمد حسين، رسالة التشيع، مصدر سابق، ص٢٩١

١٣. جعفريان، حبيبه، حياة سيد محمد حسين الطباطبائي، ، ص٢١ .

١٤. التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث المؤلف: الأستاذ الدكتور فضل حسن عبَّاس: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن الطبعة: الأولى، ١٤٣٧ هـ ، ١/

١٥. الحسيني الطهراني، السيد محمد حسين، مهرتابان، ص ٦٣-٦٥.

١٦. نقلاً عن صحيفة كيهان لقاء مع هادي خسرو شاهي .. قصة ٢٥ عاماً أمضيتها مع العلامة الطباطبائي

١٧. حمد بن يعقوب أبو طاهر الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج١، ص٨٠

١٨. الميزان في تفسير القرآن ج٣، ص٣٥.

١٩. معمر بن المثنى أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج١، ص٨٦.

٢٠. الزمخشري، الكشاف، ج١، ص٣٧٩.

٢١. الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٤، ص٦٦-٧٢.

٢٢. الرازي، محمد بن عمر. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ج٢٧، صـ١٠٨-١١٠.

23. الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ج٢٤، صـ١٠٢-١٠٣.

References and sources

١. Mu'jam Maqayis al-Lughah (1/319(

٢. Al-Muhkam and Al-Muhit al-A'zam (1/168(

٣. Shams al-'Ulum wa Dawa' al-Kalam al-Arab min al-Kalum (7/4669(

٤. Al-Qamus al-Muhit by Al-Fayruzabadi, p. 383

٥. Discussions in the Creed of Ahl al-Sunnah wa'l-Jama'ah, by Dr. Nasser al-Aql, p. 3

٦. Questions and Answers in Creed, by Sheikh Salih al-Atram, p. 7

7. Islamic Creed and Its History, by Dr. Muhammad Aman al-Jami, p. 5 8. The Doctrinal Structure in Contemporary Shiite Interpretation, Abbas, Abdul Karim, Dar Al-Walaa, 2016, p. 22

.٩Studies in the Sciences of the Qur'an, author: Mana' bin Khalil Al-Qattan (d. 1420 AH), Maktabat Al-Ma'arif for Publishing and Distribution, third edition 1421 AH - p. 386

.١٠Al-Mizan in the Interpretation of the Qur'an, 5/10

.١١Concepts of the Qur'an, Ja'far Subhani, vol. 1/20-23

12. Tabataba'i, Muhammad Husayn, The Message of Shi'ism, previous source, p. 291

.١٣Ja'farian, Habeeba, The Life of Sayyid Muhammad Husayn al-Tabataba'i, pp. 21-

.١٤Interpretation and Interpreters: Its Fundamentals, Trends, and Methods in the Modern Era. Author: Professor Dr. Fadl Hasan Abbas. Dar al-Nafayes for Publishing and Distribution, Jordan. First Edition, 1437 AH, 1/

15. al-Husayni al-Tahrani, Sayyid Muhammad Husayn, Mehrtaban, pp. 63-65.

.١٦Quoted from Kayhan newspaper, "An Interview with Hadi Khosrowshahi... The Story of 25 Years I Spent with Allamah Tabataba'i"

.١٧Hamad ibn Ya'qub Abu Tahir al-Fayruzabadi, Al-Qamus al-Muhit, Vol. 1, p. 80

.١٨Al-Mizan fi Tafsir al-Quran, Vol. 3, p. 35.

.١٩Mu'ammar ibn al-Muthanna Abu Ubaydah, Majaz al-Quran, Vol. 1, p. 86.

.٢٠Al-Zamakhshari, Al-Kashaf, Vol. 1, p. 379.

21. Tabataba'i, Al-Mizan fi Tafsir al-Quran, Vol. 14, pp. 66-72.

22. Al-Razi, Muhammd ibn Umar. Keys to the Unseen (The Great Commentary), vol.

23. Al-Tabari, Muhammad ibn Jarir. Comprehensive Explanation of the Interpretation of the Verses of the Qur'an, vol. 24, pp. 102-103.

---

[١] معجم مقاييس اللغة (١/٣١٩)

[٢] معجم مقاييس اللغة (٤/٨٦)، والمحكم والمحيط ألأعظم)١/١٦٨(.شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم)٧/٤٦٦٩(

[٣] والقاموس المحيط للفيروزآبادي ص٣٨٣

[٤] مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة ،للدكتور ناصر العقل.ص ٣

[٥] الأسئلة والأجوبة في العقيدة للشيخ صالح الأطرم ص٧

[٦] العقيدة الإسلامية وتاريخها للدكتور محمد أمان الجامي ص٥

[٧]. البناء العقدي في التفسير الشيعي المعاصر، عباس، عبد الكريم، دار الولاء، ٢٠١٦، ص ٢٢

[٨] مباحث في علوم القرآن المؤلف: مناع بن خليل القطان (ت ١٤٢٠هـ)مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ- ص ٣٨٦

[٩] الميزان في تفسير القرآن،٥ / ١٠

[١٠] الميزان، ١/ ١٢-١٤

[١١] مفاهيم القرآن، جعفر سبحاني ج١ / ٢٠-٢٣.

[١٢] الطباطبائي، محمد حسين، رسالة التشيع، مصدر سابق، ص٢٩١

[١٣] جعفريان، حبيبه، حياة سيد محمد حسين الطباطبائي، ، ص٢١ .

[١٤] التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث المؤلف: الأستاذ الدكتور فضل حسن عبَّاس: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن الطبعة: الأولى، ١٤٣٧ هـ ، ١/ ٥٩

[١٥]() الحسيني الطهراني، السيد محمد حسين، مهرتابان، ص ٦٣-٦٥.

[١٦]() نقلاً عن صحيفة كيهان لقاء مع هادي خسرو شاهي .. قصة ٢٥ عاماً أمضيتها مع العلامة الطباطبائي

[١٧] الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٦٢

[١٨] الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ١٣٤ ١

[١٩] الميزان في تفسير القرآن ج١٨، ص ٥١.

[٢٠] الميزان، ج١٩، ص ١٥٦.

[٢١] تفسيرالميزان ٣٨ ج ٣

[٢٢] الميزان في تفسير القرآن، ج٣، ص ٣٥- ٣٩.

[٢٣] محمد بن يعقوب أبو طاهر الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج١، ص٨٠

[٢٤] الميزان في تفسير القرآن ج٣، ص٣٥.

[٢٥] معمر بن المثنى أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج١، ص٨٦.

[٢٦] الميزان في تفسير القرآن، ج٣، ص٣٥.

[٢٧] لفخر الرّازي، التفسير الكبير، ج٧، ص١٨٩

[٢٨] ميزان في تفسير القرآن الجزء : ٣ صفحة : ٣٢

[٢٩] تفسير الميزان، ج٦، ص١٠-١٥

[٣٠] تفسير الميزان، ج٤، ص٣٨٧-٣٩١

[٣١] تفسير الميزان، ج٦، ص٤٣-٤٦

[٣٢] تفسير الميزان، ج٣، ص٢٦٠-٢٦٥.

[٣٣] الميزان، ج١٩، ص ٦٠.

[٣٤] الميزان، ج١٦، ص ٣١٠.

[٣٥] الميزان، ج١٦، ص ٩٦.

[٣٦] الميزان، ج٦، ص ١٠-١٤.

[٣٧] الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج١٦، ص٢٠.

[٣٨] الزمخشري، الكشاف، ج١، ص٣٧٩.

[٣٩] الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٤، ص٦٦-٧٢.

[٤٠] الرازي، محمد بن عمر. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ج٢٧، صـ١٠٨-١١٠.

[٤١] الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ج٢٤، صـ١٠٢-١٠٣.

[٤٢] تفسير الميزان، ج١٥، ص١٤٠-١٥٠

[٤٣] : تفسير الميزان، ج١٤، ص٧٠-٧٥

[٤٤] تفسير الميزان، ج١٩، ص٢٥٥-٢٦٠

[٤٥] تفسير الميزان، ج١٧، ص٥٠-٥٥